تخصص اتصال تنظيمي /مادة المنهجية / المجموعة2 ماستر 1

الاستاذ صفوان حسيني

البحوث النوعية و الكمية :

تعتمد الدراسات الأكاديمية في مجال العلوم الانسانية و الاجتماعية على نوعين من البحوث أو الدراسات العلمية وهي النوعية أو الكمية وهذا مرتبط ارتباطا معرفيا و علميا بالمدرستين الفرنكوفونية و الأنجلوسكسونية الأولى نوعية و الثانية كمية الاأنه ومع التطور الحاصل في مجال العلوم الانسانية و الاجتماعية و المرتبط بالتطور التكنولوجي الذي يشمل جميع مجالات البحث العلمي ،أصبحت المدرستين متعددة الاهتمامات أي تجمع في بعض الأحيان بين البحوث النوعية و البحوث الكمية ، ورغم اختلاف المدرسين في منهجيتهما العلمية الاأن هدفهما واحد و هو الوصول الى حقائق علمية و الاجابة عن التساؤلات التي تشغل الباحثين و المهتمين بمجال العلوم الانسانية و الاجتماعية لاسيما علوم الاعلام و الاتصال .

ومن جهة أخرى نوضح لطلبة الماستر و الباحثين على مستوى الدكتوراه أن تأسيس المدارس المتخصصة في البحث العلمي تبنى على اللغة وليس البلد بمعنى أنه المدرسة الفرنكوفونية تضم كل الباحثين أو الدول الناطقة بالفرنسية و الأنجلو سكسونية الناطقة بالانجليزية ،لهذا لايمكن القول مثلا في المنهجية المدرسة المصرية أو الجزائرية بل المدرسة العربية التي نتمنى أن تتأسس و ترى النور مستقبلا. فاللغة هي وسيلة للبحث العلمي وهي التي تطبعه و ليس العكس .

ومن الأسباب التي جعلت مادة المنهجية في الجامعة غير واضحة المعالم و الطلبة يشتكون من تباين وجهات النظر بين الأساتذة راجع الى هذا الأمر أي عدم ادراك أن المنهجية مدرستين لذا يقع الخلط بين المنهجية الفرنكوفونية و الأنجلوسكسونية و أحيانا الجمع بينهما دون وعي بذلك وهذا خطء يجعل من البحث في الظواهر مجالا للشك و الريبة ،و أحيانا نجد ان الترجمة هي سبب هذه

الأخطاء أو الاعتماد على الكتب المترجمة الى العربية حيث نجد صاحبها أحيانا يجتهد من جانبه و يضيفها الى ترجمته دون أن يكون على اطلاع على الكتاب الأصلي وهذا ما يحدث غالبا في الدول العربية. و تارة أخرى هناك كتب بالانجليزية تترجم الى الفرنسية او العكس ثم تترجم الى العربية وفي هذه المسافة تقع أخطاء ويتم استهلاكها كما هي على حالها ، ومن جهة أخرى نلاحظ في الجامعة الجزائرية عدم الاهتمام الجاد بهذه المادة بل أكثر من ذلك فهي مادة تستغل لتغطية الحجم الساعي للاستاذ وفقط دون مراعاة التخصص. **و** انجازاي بحث علمي أكاديمي في أخر المطاف وفي نهاية مشوار الطالب الجامعي نسجل عجز الطالب في تناول موضوع بحثه وتحديد معالمه وهذا انعكاس لغياب التأطير المنهجي في كيفية دراسة الظواهرالعلمية.

ونظرا لما تقدم نحاول من خلال هذا التقديم توضيح فكرة اساسية مفادها أن البحوث العلمية الأكاديمية صنفين نوعية وكمية ومهما اختلفت المواضيع و الظواهر و التخصصات العلمية فهي صنفين :

1. البحوث العلمية الأكاديمية النوعية:

با ختصار شديد هي بحوث تعتمد على الاستدلال و يقصد بذلك في مثل هذه البحوث دراسة العلاقة بين المتغيرات التي صاغها الطالب في عنوانه و اشكاليته أي علاقة المتغير المستقل الذي هو السبب بالمتغير التابع الذي هو النتيجة أي كيف أدى السبب الى النتيجة ، أو كيف أن A أنتج B .

و هنا يمكن للطالب أن يعتمد على مبدأ التأثيربين المتغيرات التي صاغها في بحثه ، و الاستدلال هو تقديم كافة الحجج الضرورية لتبرير العلاقة بين المتغيرات و يعتمد الطالب في ذلك على نظريات مختلفة تكون ذات علاقة بموضوعه و يصوغها و يستعين بها في تحليله كلما رأى ذلك ضروريا لتبرير اجراءاته العلمية ويجب تفادي الكلام الذي يدعيه البعض أن خلال عملية التحليل لا نعتمد على كتب وهذا خطء فادح وفراغ منهجي وجهل بأبجديات البحث العلمي لأن الكتب و النظريات هي من صميم عملية الاستدلال بل مطلب أساسي في المدرسة الفرنكوفونية لأنها تبحث على النوع المعرفي و كلما اعتمد الطالب على كتب علمية و نظريات فكرية في تبرير تحليله و تدعيمه كلما كان أقرب الى

الصواب في نتائجه لان الكتب العلمية و النظريات قد تم التأكد من صحتها من طرف باحثين و علماء و مختصين ممن أنجزوا تلك الكتب و تلك النظريات .

مثلا:

اذ كنت أبحث في موضوع حول كيف تناولت "الصحافة المكتوبة الجزائرية ظاهرة القرصنة الالكترونية " .

في مثل هذه المواضيع يعتمد الطالب على تحليل مضمون الصحافة المكتوبة معتمدا على الفئتين:فئة الشكل و فئة المضمون وبعد عرض و تحليل كل فئة حسب نوعها ينتقل الى الاستدلال وهو تحليل ودراسة العلاقة بين الفئتين أي علاقة فئة الشكل (كيف قيل) بفئة المضمون (ماذا قيل) وهنا تدخل متغيرات كل فئة مرحلة التحليل و مرحلة بناء جداول بسيطة و مركبة لتبرير هذه العلاقة ،و من جهة أخرى يستحسن من الطالب أو الباحث أن يدمج المؤشرات التي وضفها في تساؤلاته ضمن عملية تحليل المتغيرات التي جاءت بها الاشكالية و عنوان البحث ،لأن الاستدلال في حد ذاته كهدف يعتمد على المتغيرات وتحليلها و الربط بينهما ، و المتغيرات بحاجة الى المؤشرات المكونة للتساؤلات لتستدل بها عن مضمونها و مكوناتها لأن المتغير متكون من مؤشرات ، فالأولى توظف في العنوان و الاشكالية و الثانية توظف في التساؤلات لتبين مكونات المتغير المعتمد عليه في الدراسة حتى يتفادى الطالب أو الباحث الخروج عن حدود بحثه مما يمكنه من التحكم فيه.

2. **البحوث العلمية الأكاديمية الكمية** :

تعتمد مثل هذه البحوث أو الدراسات على مبدأ القياس و يقصد بذلك الاعتماد على لغة الأرقام وهذا ما نجده سائدا في أغلب الدراسات العلمية الغربية لا سيما تلك التي تنتمي الى المدرسة أو التيار الأنجلوسكسوني وهذا استجابة للرغبة المعرفية في العلوم الانسانية و الاجتماعية حيث رأت هذه المدرسة و المنتمين اليها من باحثين و مهتمين بدراسة الظواهر الاجتماعية أنه من الضروري ادخال الوسائل الرقمية و القيم العددية و حجتها في ذلك أن العلوم الطبيعية و الدقيقة حققت

موضوعيتها بناءا على التحليل الرياضي و الاحصائي في تناولها للظواهر مدعمة بذلك مبدأ النوعية في التميز العلمي .

فالقياس في العلوم الانسانية و الاجتماعية انما يقصد به تكميم الظاهرة الاجتماعية أي ترجمة الظاهرة الاجتماعية الى أرقام و تكون مجالا للبحث و التحليل بناءا على نظريات رياضية و احصائية التي يستعين بها الباحث أو الطالب في تأويل و تحليل معطيات و بيانات بحثه أو الموضوع المبحوث فيه .

ونجد بعض العلوم ذات صلة بالعلوم الاجتماعية و الانسانية حققت قفزة نوعية في هذا المجال كالعلوم الاقتصادية و الاحصاء و هناك عدة اجتهادات في مجالات مختلفة من العلوم الانسانية و الاجتماعية تطمح الى تحقيق قفزة نوعية باعتمادها على مقاربات رقمية في تحليل الظواهر الاجتماعية وهذا بدوره يحقق نوعا ما مبدأ الموضوعية في الدراسات الاجتماعية و التي لطالما كانت عائقا في تقييم مدى علمية نتائج الدراسات الاجتماعية و الانسانية.

القياس في الدراسات الاجتماعية لا سيما في علوم الاعلام و الاتصال يقصد به قياس المسافة بين المتغيرات التي صاغها الباحث في اشكاليته و عنوان بحثه و المسافة بين المتغيرات هو التفسير الرقمي (العددي) للعلاقة بين المتغيرات وهنا الطالب يتعامل مع متغيرات و مؤشرات بحثه باعتبارهما أرقام و تكرارات و التي تترجم الى نسب مئوية وهذا هو المعمول به كلاسيكيا في الجداول البسيطة و الجداول المركبة ، فالجداول البسيطة هي ذات المتغير الواحد اما المركبة فقد تتشكل من متغيرين أو ثلاثة بشرط أن يكون واحد فقط مستقل و الباقية تابعة و هذا مطلب أساسي جوهري في نباء الجداول الاحصائية . لهذا دائما نؤكد للطلبة في مرحلة الماستر أو الدكتورة ضرورة تحديد منذ بداية البحث المتغيرات المستقلة و المتغير التابع ،و لا يمكن في نفس البحث أو الدراسة أن نوظف مصطلحا في جدول ما على أنه مستقل وفي جداول أخرى أنه تابع و هذا من العيوب المنهجية . لكن نؤكد أن استعمال المتغيرات بصفتها تابعة أو مستقلة تختلف من دراسة الى أخرى أي هناك من يرى في متغير ما أنه مستقل حسب اشكالية دراسته وهناك من يراه تابع حسب طبيعة دراسته.

الا أن بعض الباحثين يرون على سبيل المثال أن الجنس و السن و المستوى التعليمي و الحالة العائلية على سبيل الذكر وليس الحصر على أنها متغيرات مستقلة و تبقى كذالك مهما كان توظيفها في البحث العلمي وهذا م أنصح به الطلبة

و الباحثين في مستوى الماستر او الدكتوراه لأنها متغيرات مرتبطة بالخصائص المهنية-الاجتماعية C.S.P للمبحوث و تتداول تقريبا في كل البحوث الكمية . و تعتبر الاستمارة أحسن تقنية في الدراسات الكمية مثل الدراسات التي تقوم على الرأي العام أو الاتجاهات و التي تعتمد على مبدأ القياس . و هناك من يرى في عملية صبر الأراء وسيلة لجمع المعلومات لكن لا أنصح بها طلبة الماستر لأن صبر الأراء في أغلب الأحيان تكون أهدافه سياسية أو اقتصادية مما يطغي على الجانب العلمي –الأكاديمي رغم أن عملية صبر الأراء هي أحسن تجسيد لمبدأ القياس . .

وفي الاخير أنصح الطلبة الذين يعتمدون في بحوثهم على تقنية الاستمارة و بالاخص في الدراسات الكمية الاعتماد على معامل الارتباط **– ك2 –** اضافة معامل الصدق و الثبات حتى تكون بحوثهم ذات دلالة علمية قوية تحقق الاستدلال او القياس او كلاهما . و يستحسن بالنسبة للبحوث الكمية التي تعتمد على الجداول الاحصائية تدعيم تحليلها بالاشكال و الرسومات البيانية و هذه الاخيرة تجسد مضمون الجداول الاحصائية وتدعم الفهم و الالمام بكافة جوانب الموضوع المدروس.